رحلات السندباد



الرحلة السابعة

الزواج السعيد

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت

رحلات السندباد



الرحلة السابعة

الزواج السعيد

اعداد ورسوم

رفعت عفيفي

الدار النموذجية
للطباعة والنشر



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 7 00961
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
00961 7 230841 - 07 230195
تلفاكس: 655015 - 632573 - 659875 1 00961
صيدا - لبنان

1437 هـ - 2016

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
alassrya.com

هٰذِهِ أيُّهَا الإخْوَةُ هِيَ رِحْلاَتُ آلسِّنْدِبَادِ السَّبْعُ في شكْلٍ فَرِيدٍ وإطَارٍ جَدِيدٍ. حَرِصْتُ كلَّ الحِرْصِ عَلَى أنْ أبْتَعِدَ بِها عَنِ الخرَافَاتِ الَّتِي لاَ يَقْبَلُها العَقْلُ. وبَعْدَ أنْ أصْبَحَ إنْسَانُ اليَوْمِ أكْثَرَ نُضجاً وأرْحَبَ عقْلاً وأوْسَعَ فِكْراً. ولٰكِنْ مَعَ هٰذَا لَمْ أحْرِمِ القارِىءَ مِتْعَةَ السَّفَرِ مَعَ آلخَيَالِ والاسْتِمْتَاعِ بِجَوِّ ألْفِ لَيْلَةٍ ولَيْلَة. آخِذاً فِي آعْتِبَارِي أنْ أسُوقَ لِلْقَارِىءِ الحِكْمَةَ والعِبْرَةَ فِي كُلِّ قِصَّةٍ مِنْ هٰذِهِ القِصَصِ السَّبْعِ..

هٰذِهِ يا إخْوَانِي آخِرُ رِحْلاَتِي. إذ أنِّي بَعْدَ هٰذِهِ الرِّحْلَةِ أقْسَمْتُ ألاَّ أُغَادِرَ أهْلِي وبَلَدي أبَداً.

وكان سَبَبُ خرُوجي منْ بغداد هذهِ المرَّةَ إلى بِلادِ اللّهِ الوَاسِعَةِ أنّني كنْتُ أجلسُ فِي مَتْجَرِي ذاتَ يَوْمٍ فحَضَرَ إليَّ أحَدُ التُجَّارِ وطَلَبَ إليَّ أنْ أصِفَ لَهُ بلداً منَ البُلْدانِ الّتِي سَبَقَ أنْ ذَهَبْتُ إلَيْهَا. فوصَفْتُها لهُ وصْفاً دَقيقاً جَعَلَ الرَّجُلَ فِي غايَةٍ مِنَ السَّعادَةِ والسُّرُورِ. وقدْ تَعَجَّبْتُ لِهذا. فإنَّ هٰذِهِ البَلْدَةَ مِنَ البُلْدَانِ الفَقِيرَةِ الَّتِي لا يُحِبُّ الإنْسَانُ رُؤْيَتَها ولا يُصِيبُ آلتاجِرُ فِيها رِبْحاً. فسألْتُهُ عنْ سرِّ سعادَتِهِ وفرَحِهِ فقالَ: - إنَّ في هٰذِهِ البَلْدَةِ كَنْزاً لا يُوازِيهِ كَنْزٌ فِي الدُّنْيا. فهُنَاكَ عُشْبٌ مِنَ الأعْشَابِ الَّتِي لَوْ تَعاطَاهُ الإنْسَانُ مَرَّةً فإنَّ الشَيْخُوخَةَ والمَرَضَ لا يَعْرِفَانِ طَرِيقاً إلَيْهِ. فقُلْتُ لَهُ: - لٰكِنِّي لَمْ أشَاهِدْ هٰذا العُشْبَ ولَمْ أسْمَعْ عَنْه هُنَاكَ. فَقَالَ الرَّجُلُ: ذٰلِكَ لأَنَّكَ لَمْ تَسْأَلْ عَنْهُ. ولأَنَّ أحَداً لا يَعْرِفُ سِرَّهُ.

فَقُلْتُ: - وكَيْفَ عَرَفْتَ أَنْتَ هٰذا آلسِّرَّ؟ فقالَ: - إنِي رَجُلٌ قَارِىءٌ، أجْمَعُ الكُتُبَ النَّادِرَةَ مِنْ كلِّ بِلاَدِ الدُّنيا، وقَدْ وَقَع فِي يَدَيَّ كتابٌ قرأْتُ فيهِ عَنْ هٰذا العُشْبِ وعنِ البلَدِ

الَّذي ينبتُ فِيهِ. فقلْتُ لَهُ: - إذَنْ أرْجُو أنْ تُحْضِرَ لي مِنْهُ بَعْدَ عَوْدَتِكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ. فقالَ لِي الرَّجُل: - ولِماذَا لا تأْتِي مَعِي وتَأْخُذُ مِنْهُ ما تَشَاء. فقلتُ: - إنِّي قدْ عاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى ألاَّ أتْرُكَ مَدِينَةَ بغْدَادَ أبَداً مَهْمَا كانَتِ الظُّرُوفُ. فقالَ الرجُلُ فِي دَهاءٍ وخُبْثٍ: ولَكِنَّكَ رَبِحْتَ كثيراً مِنَ وَرَاءَ سَفَرِكَ وتَرْحَالِكَ. ففي رِحْلَتِكَ الأُولى عُدْتَ بكَنْزِ السُّودِ الَّذينَ اختَطَفُوا الأَمِيرَةَ وأعْطاكَ والِدُها السلطانُ وأُمُّها كثيراً مِنَ المالِ والهَدَايَا. وفي رِحْلَتِكَ الثانِيَةِ عُدْتَ بِقَدرٍ هائِلٍ مِنَ الْمَاسِ والأَحْجَارِ الكَرِيمَةِ بَعْدَ نَجاتِكَ مِنْ أرْضِ الأَفَاعِي والثَّعَابِينِ الكَبِيرَةِ. وفي رِحْلَتِكَ الثَّالِثَةِ عُدْتَ مُحَمَّلاً بأكياسٍ مِنَ اللؤْلُؤ الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ. وفي الرَّابِعَةِ رَبِحْتَ مِنْ صُنْعِ سُرُوجِ الخَيْلِ أمْوَالاً طَائِلَة. وهَدَايا لا تُقَدَّرُ بِمَالٍ. وفي الرِّحْلَةِ الخَامِسَة عُدْتَ بِكَنْزِ القَرَاصِنَة. أما الرِّحْلَةُ السَّادِسَةُ فكانَتْ إلى جَزِيرَةِ الأقْزَام الَّتِي أخَذْتَ مِنْها هذا المَاسَ النَّادِرَ الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ فِي الدُّنْيا كُلِّها.

وأخَذَتْني الدَّهْشَةُ وتَعَجَّبْتُ مِنْ كَلامِ الرَّجُلِ الَّذِي يَعْرِفُ عَنِّي كلَّ هذا فَسأَلْتُهُ مِنْ أيْنَ لَهُ عِلْمٌ بِكُلِّ أمُورِي. فَقَالَ الرَّجُل: - إنِّي أَجْمَع الكُتُب مِثْلَمَا أجْمَعُ الأخْبَار. وأخْبَارُكَ أنْتَ يا سندباد يَرْويها كلُّ الناسِ. ولذلكَ فإنِّي سَوْفَ أسَجِّلُها فِي كِتَابٍ يَرْوِي أخبارَكَ على مَرِّ الأزْمانِ. لَكِنِّي كنتُ أوَدُّ أنْ تَكُونَ مَعِي فِي هذِهِ الرحلةِ حتَّى يَكُونَ لَدَيْنا مِنَ الوقْتِ ما يُمْكِنُ أنْ تَرْوِيَ لِي خِلاَلَهُ أخبارَ رِحْلاَتِكَ بالتَّفْصِيلِ وأَنَا أَكْتُبُها. فقلتُ له: - أسْتَطِيعُ أنْ أرْوِي لكَ كلَّ شيءٍ هُنا؛ أمَّا السَّفَرُ فَلاَ سَبِيلَ إلَيْهِ أبداً بعْدَ أنْ أقسمْتُ على ذلكَ. فسكَتَ الرجلُ بُرْهَة ثمّ قالَ: - عِنْدي رَأْيٌ. فقلت: ما هُوَ؟ قال: أسْتَطِيعُ تأجِيلَ السَّفَرِ لِعِدَّةِ أيامٍ. وفي هذِهِ الأيَّامِ تَرْوِي لِي كلَّ شَيْءٍ. فقلتُ: - لا بأسَ فِي هذا ومَا عَلَيْكَ إلاَّ أنْ تَحْضَرَ كلَّ مَسَاءٍ إلى قَصْري. فقالَ الرجلُ: - ولماذَا لا تَأْتِي أنْتَ إلى قَصْرِي حتَّى أستطيعَ أنْ أقدِّمَ لكَ واجِبَ الضِّيَافَةِ. فقلتُ له: - إنِّي أجتَمِعُ كلَّ ليلةٍ بمجموعَةٍ مِنَ الأصدقاءِ تَعوَّدْنا علَى قضاءِ شطرٍ منَ اللَّيْلِ فِي بهجَةٍ وسُرُورٍ. ولا أستطيعُ

أنْ أتْرُكَهُمْ وأذهبَ إليكَ. فقالَ الرجلُ: ـ في هذهِ الحالةِ أذهبُ إليكَ أنَا. فقلتُ: ـ أهلاً بِكَ في كلِّ وَقْت.

مضى النهارُ وفي اليومِ نَفْسِهِ حضرَ الرجلُ إلى قَصْري مساءً وكانَ قَدِ آجْتَمَعَ عِنْدي مَجْمُوعَةٌ مِنَ الأصْدِقاءِ والشُّعَراءِ والعُلَماءِ فَقَدَّمْتُهُ إلَيْهِمْ وأخْبَرْتُهُمْ برَغْبَتِهِ فِي إعْدادِ كتابٍ يَحْوِي رِحْلاتي ومُغَامَرَاتي، فَرَحَّبُوا جَمِيعاً بهذِهِ الفِكْرَةِ وأشادُوا بالرَّجُلِ وجَلَسوا جَميعاً يستَمِعُونَ مَعَهُ إلى حَدِيثي الَّذِي كانَ يُدَوِّنُه. وعلَى مَدَى سِتَّةِ أيَّامٍ وأنَا أرْوي والجَمِيعُ يُنْصِتُ والرَّجُلُ يَكْتُبُ حتَّى وصَلْتُ إلى رِحْلَتِي السادِسَةِ. وَكَانَ الرَّجُلُ يطلبُ إليّ أنْ أحَدِّد لَهُ فِي رِوَايَتِي الأَمَاكِنَ والبلدَانَ الَّتِي مَرَرْتُ بِها وذَهَبْتُ إليها إلى أنْ وَصَلْتُ إلى جَزِيرَةِ الأقْزَام. فقلْتُ: ـ إنِّي لَمْ أعْرِفْ كيفَ وصَلْتُ إلى جَزيرَةِ الأقْزام. فبَعْدَ أنْ ألْقَى بي بَحَّارَةُ المَرْكَبِ في البَحْرِ لَمْ أشْعُرْ إلاَّ بِسَمَكِ الدَّرْفِيلِ يَحْمِلُنِي عَلَى ظَهْرِهِ ويقذِفُ بِي فَوْقَ هٰذِهِ الجَزيرة. وفي النهايةِ طَوَى الرجلُ كِتَابَهُ بَعْدَ أنْ رَوَيْتُ لهُ كُلَّ كَبيرَةٍ وصغيرَةٍ عَنْ رِحلاتِي آلسِّتِّ. وفِي الصباحِ حَضَرَ الرجلُ إلى مَتْجَرِي وأخْبَرَنِي أنَّهُ سيرحَلُ في الغَدِ واستحلَفَنِي أنْ أذهبَ مَعَهُ إلى بيتِهِ لأشْرِفَ بِنفسي علَى ما يَجِبُ أنْ يَحْمِلهُ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ وأَدُلَّهُ على طَرِيقِ الرِّحْلَةِ. وأمامَ إلحَاحِهِ تركْتُ مَتْجَرِي وذهبْتُ مَعَهُ إلى بَيْتِهِ فرأيتُهُ بَيْتاً لا بأسَ بِهِ ورَأَيْتُ الجِمَالَ واقفَةً أمامَ الدَّارِ والخَدَم يضعُونَ فَوْقَها الأَحْمَال.

وكانَ للدارِ فناءٌ صَغِيرٌ مَفْرُوشٌ بسَجَّادٍ جَمِيلِ الشَّكْلِ، بَدِيع الصُّنْعِ وعليهِ الوسائِدُ التي تدلُّ ألوانُها على ذَوْقٍ جَميلٍ. وما أنْ جَلَسْنا حتَّى أمَرَ بالطعامِ وكانَ الوقتُ وقتَ غداءٍ فحَضَرَ الطعامُ تَسْبِقُهُ رائحتُهُ الَّتِي جَعَلَتْنِي أُقْبِلُ عَلَيْهِ بشهيَّةٍ عَظِيمَةٍ. فأكَلْتُ حتَّى لَمْ يَعُدْ فِي مَعِدَتي مَكانٌ لِلُقْمَةٍ أُخْرى. ثم أمَرَ بماءِ الوَرْدِ المَمْزُوجِ بالسكَّرِ فجاءَ بِهِ



الخَدَمُ وكانَ بارِداً مِثْلَ الثَّلْجِ فشَرِبْتُ مِنْهُ حتى أنّي لَمْ أعُدْ بَعْدَها أشْعُرُ بِشيء. أفَقْتُ إلى نَفْسِي لأجِدَني داخِلَ هَوْدَجٍ وَسْطَ قَافِلَةٍ فِي الصَّحْرَاءِ فَتَعَجَّبْتُ مِنْ هٰذَا وأزَحْتُ سِتَارَ الهَوْدَجِ وصَرَخْتُ بأعْلَى صَوْتِي فوَقَفَتِ القافِلَةُ وجاءَ التاجِرُ مُسْرعاً ومعَهُ غِلْمَانُه وعَبيدُه. فقلتُ لَهُ في غضَبٍ: - أينَ أنَا؟ وما الذِي جاءَ بِي إلَى هُنا. فلمْ يُجبِ الرَّجُلُ إلّا بإشارَةٍ إلَى غِلْمَانِهِ فأحَاطُوا بِي منْ كلِّ جانبٍ وأرغمُوني على شرْبِ سائِلٍ جعَلَني فِي غيبُوبَةٍ لَمْ أفِقْ مِنْها إلّا في سفينةٍ كبيرةٍ تسيرُ في بحْرٍ متلاطِمِ الأمْوَاجِ. ووجَدْتُ نَفْسِي مُقَيَّداً بسلاسِلَ فِي يديَّ وقدميَّ. وانتابَتْني حَيْرَةٌ وخَوفٌ وأخَذْتُ أفكِّرُ في ما حَدَث فلاَ أجِدُ سَبَباً لِمَا أنَا فِيهِ. وكنتُ منَ الضُّعْفِ بحيثُ لا أستطيعُ الحَرَكَةَ فنادَيْتُ بصَوْتٍ لا يكادُ يَخْرُجُ مِنْ فَمِي مِنْ شدَّةِ ضُعْفِي وهُزَالي. وسَمِعَنِي أحَدُهُمْ فجَاءَ بَعْدَ لحْظَةٍ ومعَهُ هٰذا التاجِر. وسألْتُ الرَّجُلَ معاتِباً لماذا يَفْعَلُ بِي ذٰلِك. وأنا ما فَعَلْتُ مَعَهُ سوءًا. فقالَ الرجلُ وقدْ ظهَرَتْ حَقِيقَتُه: - إنّنِي يا سندباد ما فَعَلْتُ هٰذا إلّا لأنَّك الوحيدُ الَّذِي يعرِفُ مكانَ الجَزيرَةِ. ولو كُنْتَ وافَقْتَني على السفرِ لَمَا كُنْتُ فكَّرْتُ في هٰذِهِ الحيلةِ حتَّى أُرْغِمَكَ

عَلَيْهِ. فقلتُ له: ـ أي جزيرةٍ تَعْني؟ فقالَ: ـ جزيرةُ الأقْزَامِ الَّتِي بهَا المَغَارَةُ الَّتِي تَحْوِي الماسَ الذي لا نَظِيرَ لَهُ في الدُّنيا. فقُلْتُ للرَّجُلِ: ـ أَلَمْ تَكُنْ تسأَلُني عَنْ جزيرةٍ أخْرَى بِهَا الأعْشَابُ الَّتِي تُرِيدُها. فقالَ الرجلُ فِي سُخْرِيةٍ: ـ لَمْ تَكُنْ قِصَّةُ الأعْشَابِ إلا حيلةً لِكَيْ تَأْتِيَ مَعِي. وبَعْدَ أنْ فَشِلْتُ فِيها جِئْتُكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى. وهيَ أنْ أكْتُبَ كِتَاباً عنْ رِحْلاتِكَ حتَّى استَدْرَجْتُكَ إلى دارِي وأسْقيتُكَ هٰذا المُخَدِّرَ لِيَسْهُلَ اخْتِطَافُكَ. فقلتُ له: ـ ولٰكِنَّكَ نسيتَ أنَّنِي أخبرْتُكَ أنَّنِي لا أعرفُ مكانَ الجَزِيرَةِ. ولولا الحوتُ الَّذِي ألْقَى بِي إلَيْهَا لَكُنْتُ الآنَ فِي أعْمَاقِ البَحْرِ. فَقَالَ الرَّجُلُ مُتَوَعِّداً: بَلْ سَتَعْرِفُ مَكَانَهَا يَا سندباد. وَعِنْدِي مِنْ وَسَائِلِ التَّعْذِيبِ مَا يَجْعَلُكَ تَتَذَكَّرُ جَيِّداً. وَسَأَتْرُكُكَ الآنَ لِتُفَكِّرَ. قَالَ الرَّجُلُ ذٰلِكَ ثُمَّ انْصَرَفَ وَمَنْ مَعَهُ وَتَرَكَنِي وَحِيداً أُفَكِّرُ فِي مَا أَنَا فِيهِ وَقَدِ امْتَلأَتْ نَفْسِي حُنْقاً عَلَى هٰذَا الرَّجُلِ الأَفَّاكِ وَخَوفاً مِنْ تَهْدِيدِهِ. وَلٰكِنْ مَاذَا



أَفْعَلُ وَأَنَا فِعْلاً لاَ أَعْرِفُ مَكَانَ الجَزِيرَةِ ولا كَيْفِيَّةَ الوُصُولِ إِلَيْها.

ولَمْ يَمْضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى عادَ الرجُلُ ومعَهُ زبانيةُ التعذيبِ وقالَ لِي: ـ هلْ تذكَّرْتَ مكانَ الجزيرةِ أمْ أجعَلُ هؤلاءِ يذكِّرُونَكَ بِها. فأقْسَمْتُ لَهُ بأنِّي لا أَعْرِفُ مَكانَها. وهنَا أشَارَ الرَّجُلُ لَهُمْ فأَخَذُوا يضربُونَنِي ضَرْباً مُبَرِّحاً حتَّى فَقَدْتُ الوَعْيَ ولَمْ أعُدْ أَعِي شَيْئاً.

وفي اليومِ التَّالِي فعلُوا بِي أَكْثَرَ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ حتَّى أوشَكْتُ علَى الهلاكِ فامْتَنَعُوا عنِّي وأخذوا في مُداواةِ جرُوحي وإطعَامي حتَّى استَرْدَدْتُ عافِيَتِي وجاءَ الرَّجُلُ لِيَسْأَلَني ويتوعَّدَنِي مَرَّةً أُخْرَى. فَقُلْتُ لَهُ: إذا كُنْتَ تُرِيدُ الجَزِيرَةَ مِنْ أَجْلِ المَاسِ فإنَّ لَدَيَّ مِنْهُ الكَثِيرَ. فأَعِدْنِي إلى بَغْداد وخُذْهُ كُلَّهُ ومَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ المَالِ. ضَحِكَ الرَّجُلُ فِي سُخْرِيَةٍ وهُوَ يَقُولُ: أتظنُّنِي إِلَى هٰذا الحَدِّ مِنَ البلاَهَةِ والسذاجَةِ حتَّى أُعِيدَكَ إلى بلادِكَ فتُخْبِرَ الخَلِيفَةَ ويَكُونُ مَصِيرِي قَطْعَ رَقَبَتِي. إنَّكَ الآنَ فِي قَبْضَتِي وتَحْتَ يَدَيَّ. وإذا لَمْ تَدُلَّنِي عَلَى مَكَانِ الجَزِيرَةِ فإنِّي سأُلْقِي بِكَ إلى البَحْرِ لِتَكُونَ طَعَاماً للأَسْمَاكِ. ولَنْ يَكُونَ لَكَ مَهْرَبٌ مِنِّي أوْ مِنْ هٰذا المَصِيرِ. ثُمَّ تَرَكَنِي وذَهَبَ فَقُلْتُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللّٰهِ. فإنَّ القَدَرَ يَأْبَى أنْ يَتْرُكَنِي حَتَّى بَعْدَ أنْ تَرَكْتُ السَّفَرَ وعَاهَدْتُ نَفْسِي عَلَى عَدَمِ العَوْدَةِ إلَيْهِ. فهَا أنَا وسَطَ المُحِيطِ رَغْماً عنِّي. وإذا لَمْ أجِبِ الرَّجُلَ لِمَا يُرِيدُ فسأَكُونُ فِي قَاعِ هٰذا المُحِيطِ. وظَلَلْتُ حَزِيناً أفَكِّرُ وأَلُومُ نَفْسِي عَلَى ثِقَتِي بالنَّاسِ ولٰكِنْ لَيْسَ باللَّوْمِ أنْجُو مِنْ هٰذا الهَلاَكِ. وقَرَّرْتُ فِي قَرارَةِ نَفْسِي أنْ أُجَارِيَ الرَّجُلَ في ما يُرِيدُ حَتَّى يَقْضِيَ اللّٰهُ أمْرَهُ فِي شَأْنِي.

ولمَّا جَاءَ الرَّجُلُ قلتُ لَهُ: ـ إنِّي سأُخْبِرُكَ بِمَكَانِ الجَزِيرَةِ علَى أنْ يكونَ لِي ممَّا تأخُذُهُ مِنْها نَصِيبُ النِّصْفِ، وعلَى أنْ تُعِيدَنِي إلى بَغْداد مرَّةً أخرى. فبَدَا السرُورُ على وجْهِ الرَّجُلِ وقالَ: ـ لكَ عِنْدي كلُّ ما طَلَبْتَ، وخَرَجَ إلى البحَّارَةِ ليزُفَّ إليهِمْ هٰذِهِ

البُشرى. وكنتُ أعْلَمُ أنَّ الرجلَ كاذِبٌ ومخادِعٌ وأنَّهُ سيقْتُلُني ولنْ يُعيدَنِـي إلَى بَغْداد أبَداً بَعْدَ أنْ يَنالَ مِنَ الجزيرةِ ما يُريد. ولمْ يَكُنْ يَدْرِي أنّني أخدَعُهُ أنا أيْضاً وأُضْمِرُ لهُ في نفْسِي شَيْئاً آخرَ. مَضتْ عِدَّةُ أيّامٍ بعْدَ أنْ فَكُّوا قُيودي ووَقَفْتُ على الدَّفَّةِ مُتَّخِذاً مِنَ النُّجُومِ دَليلاً علَى وجْهَتِي وأصْبَحْتُ بعدَ ذلكَ المتحَكِّمَ فِي وجهَةِ سَيْرِ السفِينَةِ حتَّى كانَ لِي ما أرَدْتُ واسْتَطَعْتُ أنْ أرَى بَعْدَ عِدَّةِ أيامٍ أخْرَى الجزيرةَ الَّتِي كُنْتُ أنْشُدُها.. وما أنْ رأى الرجلُ الجزيرةَ هُوَ ومَنْ مَعَهُ حتَّى هلَّلُوا ورقَصُوا فرِحِينَ. وكنْتُ أضحَكُ في قرارَةِ نَفْسِي لأنِّي الوحيدُ الذي أعلَمُ ما بدَاخِلِ هذِهِ الجَزِيرَة. فهِيَ الجَزِيرَةُ الَّتِي رأيْتُ فِيها الحَيوانَاتِ الهَائِلَةَ مِنَ الديناصُورَاتِ المُتَوَحِّشَةِ. والَّتِي هَرَبْتُ مِنْها مُتَعَلِّقاً بِطائِرِ الرُّخِّ.

نَزَلْنا إلى البَرِّ بَعْدَ أن تَرَكَ الرَّجُلُ بَعْضاً مِنَ البَحَّارَةِ عَلَى ظَهْرِ المرْكَبِ وتَوَغَّلْنا داخِلَ الجَزِيرَةِ وكُنْتُ أسِيرُ أمَامَهُمْ وهُمْ خَلْفِي واحْتَوَتْنَا الغَابَاتُ الكَثِيفَةُ والأشْجَارُ المُرْتَفِعَةُ الَّتِي تَصِلُ فُرُوعُها إلى السَّمَاءِ. وظَلَلْنا نَسِيرُ حتَّى تَعِبَتْ أجْسَامُنا ولَمْ نَعُدْ أقْدامُنَا قادِرَةً عَلَى حَمْلِنَا. فَجَلَسْنا نستَرِيحُ. وجاءَ الرجلُ وجلَسَ بجانِبِي وهُوَ يحذِّرُني مِنْ أيِّ غَدْرٍ. فقلتُ لَهُ: - إنّني مَعَكُمْ في هذِهِ الجزيرَةِ التي لا مَهْرَبَ مِنْها إلاَّ إلَيْكُمْ. ولكِنْ أمَامَنَا يومَانِ أو ثلاثَةٌ مِنَ السَّيْرِ فِي هذِهِ الغَابَاتِ حتَّى نَصِلَ إلى الجَبَلِ الّذِي يسْكُنُه الأقْزَامُ والَّذِي فِيهِ الكَهْفُ المَنْشُودُ. فقالَ الرجلُ وقدْ ظَهَرَتْ علاماتُ الرِّضَى علَى وجْهِهِ: - الآنَ فَهِمْتُ أنَّكَ رَجلٌ عاقِلٌ يا سندباد. فضَحِكْتُ وأنَا أقولُ في نَفْسِي بلْ إنّني ذَكِيٌّ أيْضاً.

فِي اليَوْمِ التَّالِي خَرَجْنا مِنْ غَابَةِ الأشْجارِ لِتَظْهَرَ لَنا أرْضٌ وَاسِعَةٌ ضَمِنْتُ أنِّي سأرَى فِيها هٰذِهِ الحَيَوانَاتِ الهَائِلَةِ. ولٰكِنِّي عَجِبْتُ لِعَدَمِ ظُهُورِها. ولٰكِنِّي شَاهَدْتُ عَلَى البُعْدِ جَبَلاً هائِلَ الارْتِفاعِ فأشَرْتُ نَحْوَهُ وقُلْتُ: - هٰذا هُوَ الجَبَلُ المَنْشُود. والرَّأْيُ عِنْدِي أنْ تَدَعَنِي أتَقَدَّمُ إلَيْهِ وحْدِي حتَّى أتَحدَّثَ إلَى الأقْزامِ بَدَلاً مِنْ أنْ يُهاجِمُونَا إذَا رَأَوْكُمْ جَمِيعاً. فقالَ الرَّجُلُ: إفْعَلْ مَا تَشاءُ واعْلَمْ أنِّي سأُرَاقِبُكَ مِنْ بَعِيد. وتَرَكْتُهُمْ وتَقَدَّمْتُ إلَى

نَاحِيَةِ الجَبَلِ وكانَ عَلَى بُعْدِ يَوْمٍ مِنَ ٱلسَّيْرِ تَقْرِيباً. وكُنْتُ أسيرُ فِي حَذَرٍ خَوْفاً مِنْ مصادَفَةِ أيِّ حَيَوانٍ وأدْعُو اللَّهَ أنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِدِيناصُورٍ هَائِلٍ يُخَلِّصُنِي مِنْهُمْ. وبينَما أنَا سَائِرٌ رَأَيْتُ قُبَّةً بَيْضَاءَ وسَطَ فُرُوعِ شَجَرٍ كَثِيرة. فتَوَجَّهْتُ إلَيْهِ وٱقْتَرَبْتُ مِنْها فَظَهَرَتْ لِي حَقِيقَتُها. فإنَّ فُرُوعَ الشَّجَرِ هٰذِهِ كَانَتْ هِيَ عُشَّ طَائِرِ الرُّخِّ الَّذِي طَارَ بِي مِنْ هٰذِهِ الجَزِيرَةِ إلى جَزِيرَةٍ أُخْرَى. وهٰذِهِ القبَّةُ البَيْضَاءُ لَمْ تَكُنْ إلا بيضتَهُ. ووقفْتُ أمَامَها أفَكِّرُ وأنَا أنْظُرُ إلَيْها مَرَّةً وإلى السَّمَاءِ مرَّةً أخْرَى خَوْفاً مِنْ مَجِيءِ الرُّخِّ عَلَى غَفْلَةٍ مِنِّي. ووَاتَتْنِي فِكْرَةٌ جَعَلَتْنِي أعُودُ إلى المَجْمُوعَةِ مَرَّةً أخْرَى وأخْبَرْتُهُمْ بِمَ رَأَيْتُ وبِأنَّ هٰذِهِ البيضةَ هِيَ أعظَمُ غِذَاءٍ لَهُمْ إذا اسْتَطَاعُوا أنْ يَكْسِرُوها. وكُنْتُ أهْدِفُ مِنْ وراءِ هٰذا أنْ يُهَاجِمَهُمُ الرُّخُّ أثْنَاءَ وُقُوفِهِمْ بِجِوَارِهَا.

وأسْرَعُوا جَمِيعاً ناحِيَةَ البَيْضَةِ وأمْسَكَ بَعْضُهُمْ بِفُرُوعِ الشَّجَرِ والبَعْضُ الآخَرُ جَاءَ بالصُّخورِ وأخَذُوا يَقْذِفُونَ بِها البَيْضَةَ ويَضْرِبُونَها بفرُوعِ الشَّجَرِ حتَّى ظَهَرَتِ الشرُوخُ



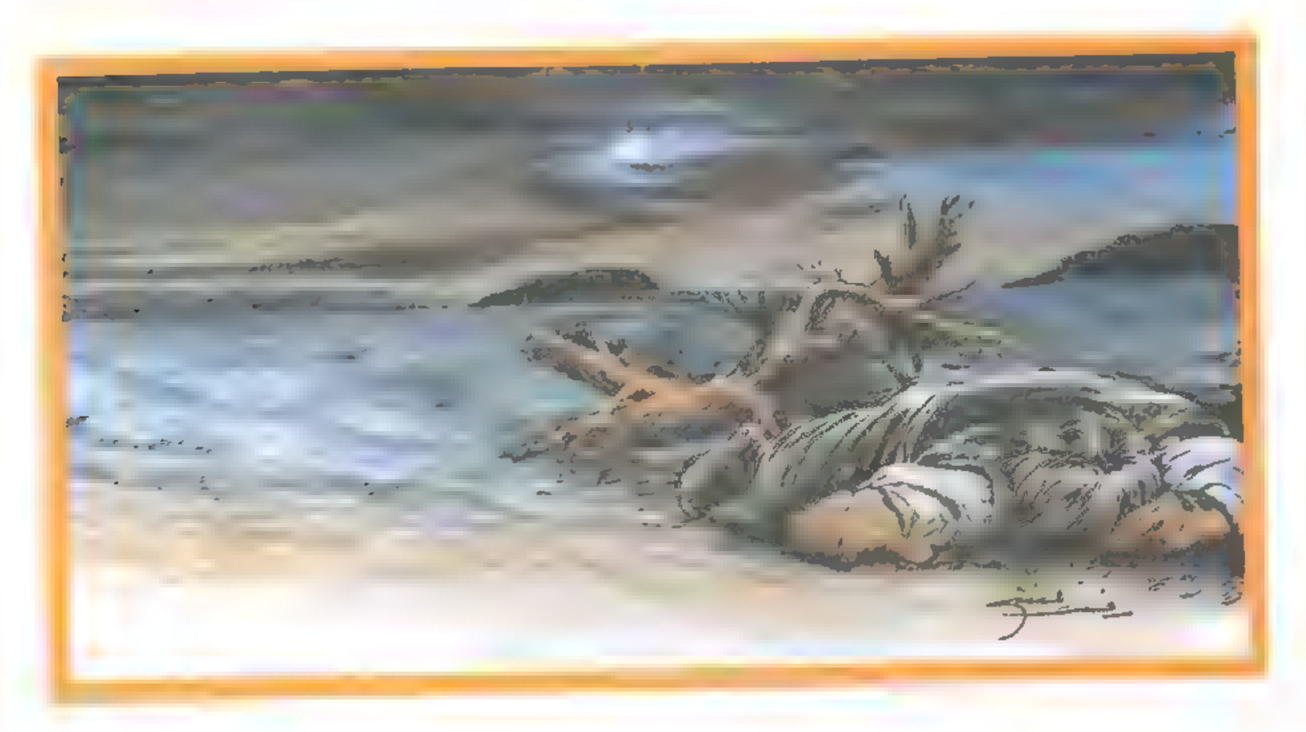
بجَانِبِهَا وبَدَأَ لَحْمُهَا يَسِيلُ عَلَى الأرْضِ. وحاوَلْتُ أنْ أتَسَلَّلَ مِنْ بينِهِمْ لأخْتَبِىءَ بَيْنَ أشْجَارِ الغَابَةِ لٰكِنِّي فُوجِئْتُ كَما فُوجِيءَ الآخَرُونَ بصَرْخةٍ مُدَوِّيَةٍ هَزَّتْ أرْضَ الجَزيرَةِ وفَضَاءَها وإذا بالطائِرِ ينقَضُّ عَلَيْنا وكأنَّهُ جَبَلٌ سَقَطَ مِنْ علْيائِهِ إلى الأرضِ وسَحَقَ جَمْعاً كَبيراً مِنّا تَحْتَ جَنَاحِهِ وبَيْنَ مَخَالِبِهِ بينَما فَرَّ الباقونَ وأنَا مَعَهُمْ إلى داخِلِ الغَابَةِ لنَتَوارَى بَيْنَ الأشْجَارِ الكَثِيفَةِ ثُمَّ ظَلَلْنا نَجْرِي حتَّى عُدْنا إلى الشَّاطِىءِ حَيْثُ كَانَ المَرْكَبُ راسياً وتَوَجَّهْنا إلَيْهِ وشَرَعْنا فِي رَفْعِ المِرْسَاةِ وإطْلاَقِ الشِّرَاعِ لنَنْجُوَ بأرْوَاحِنا. ولمَّا اسْتَوَتِ السَّفِينَةُ فَوْقَ المَاءِ بَعِيداً عنِ الشَّاطِىءِ أمْسَكَ بِي الرَّجُلُ وقالَ: إنَّكَ الآنَ تستَحِقُّ لمَوْتَ يا سندباد. فهٰذِهِ الجزيرةُ ليسَتْ هِيَ الجزيرَةَ المَطْلُوبَةَ. وقدْ جِئْتَ بِنَا إلى هُنَا لِتُهْلِكَنا، ولٰكِنِّي سأقْتُلُكَ قَبْلَ أنْ تَفْعَلَ بنا ما فَعَلْتَ في مَكَانٍ آخَر. وأخْرَجَ الرجلُ سيفَهُ مِنْ غِمْدِهِ وتقدَّمَ نَحْوِي ليُطِيحَ بِرَأْسِي فإذَا أصْوَاتٌ منَ السَّمَاءِ تَنْخَلِعُ لَهَا القلوبُ وإذا بطائِرِ الرُّخِّ







ومَعَهُ طائِرٌ آخَرُ وقَدْ حَمَل كلُّ مِنْهُما صَخْرَةً هائِلَةً بين مخالِبِه. وسقَطَتِ الصخرةُ الأُولى بِجِوَارِ المَرْكَب فأثارتْ جَبَلاً من الماءِ حَوْلَنا وجاءت الثانيةُ فَوْقَ المرْكَبِ لتَجْعَلَ مِنْهُ أشلاءً فَوْقَ المَاءِ. ووجدْنَا أنْفُسَنا جميعاً بينَ الأمواجِ ولمْ نكُنْ قَدِ آبتعَدْنا كثيراً عنْ شاطيءِ الجَزيرَةِ فأخذْتُ أسبَحُ نحْوَها بينَمَا تعلَّقَ البَعْضُ بألواحِ خَشَبِ المَرْكَب. وإذا بالطَّائِرَيْن يهبِطَانِ ويخْتَطِفَانِ آثْنَيْنِ ثُمَّ يَلْتَهِمَانِهِما في لَمْحِ البَصَرِ ويَعُودَانِ إلى غَيْرِهما. فجَعَلْتُ أنْظُرُ إليْهِمَا وأغُوصُ في الماءِ كُلَّمَا آقْتَرَبَا حتَّى أَتَيا على الجَمِيعِ وأصْبَحْتُ وحْدِي. ولمَّا آختَفَى الطائِرَانِ تَمَاماً واصَلْتُ العَوْمَ حتَّى لامَسْتُ رِمَالَ الشاطيءِ فأسْرَعْتُ



لأَختَفِي بَيْنَ الأشْجَارِ خَوْفاً مِنْ عَوْدَةِ الطَّائِرَيْنِ. وحمِدْتُ اللّهَ على نَجَاتِي من القتلِ ومِنَ الغَرَقِ ومِنَ الطُّيُور. ولَكِنِّي صِرْتُ وَحِيداً للمَرَّةِ الثانِيَةِ على هذهِ الجَزيرَةِ. وكأنَّهُ لَمْ تَمُرَّ عَلَيَّ هٰذهِ الأعْوامُ الكَثِيرَةُ.

ظَلَلْتُ فِي مَكَانِي بَيْنَ الأشْجَارِ حتَّى جَاءَ اللَّيْلُ فَجَلَسْتُ خَائِفاً أتَرَقَّبُ أيَّ حَرَكَةٍ

وأُرْهِفُ لِسَّمْعَ لأيِّ صَوْتٍ حتى جاءَتْني الأصْوَاتُ المُرْعِبَةُ الَّتِي ذَهَبَتْ بِكُلِّ مَ بَقيَ لَدَيَّ مِنْ قُوَّةٍ وأَمَلٍ فِي آلنَّجَاةِ. فَهٰذِهِ هِيَ أَصْوَاتُ الدِّيناصُورَات. وعجِبْتُ لأنِّي لمْ أسْمَعْهَا قَبْلَ ذلِكَ حِينَ كانَ القومُ مَعِي. ولَمْ يَكُنْ أمَامِي إلَّا أنْ أفِرَّ إلى الشاطىءِ وأَخْتَفِي خَلْفَ صَخْرةٍ مِنْ صُخُورِهِ حتَّى إذا هجَمَني شَيْءٌ أَلْقِي بنَفْسِي إلى الماءِ. ومَضَى اللَّيْلُ ثقيلاً بطيئاً مشحُوناً بالخوفِ حتَّى غَلَبَنِي النَّوْمُ في النهايةِ إلَى قُبيْلِ ظُهْرِ اليَوْمِ التَّالي. ولمَّا صَحَوْتُ دَخَلْتُ إلَى الجَزِيرَةِ لأمْلأَ مَعِدَتي مِنْ ثِمَارِهَ ثُمَّ عُدْتُ إلى مَكَانِي قُرْبَ الصَخْرَةِ أرْقُبُ ضَرَبَاتِ الأَمْوَاجِ علَى الشَّاطِىءِ وأتَذَكَّرُ كُلَّ مَ مَرَّ بِي فِي حَيَاتي وكَأنِّي كُتِبَ عَلَيَّ أنْ أحْيَا عُمْرِي كلَّهُ فِي مُوَاجَهَةِ الأخْطَارِ والأهْوَال. ولكِنِّي تَمَسَّكْتُ بالأمَلِ حِينَ تَذكَّرْتُ أنَّ اللّهَ كانَ دائماً بجنبِي. فلاَ يَأْسَ مَعَ الحَيَاةِ أبَداً.

مَرَّتِ الأيَّامُ مُتعَاقِبَةً وأنا عَى حَالٍ لا يَتَغَيَّر. غير أنِّي فِي بَعْضِ الأحْيَانِ كُنْتُ أحَاوِلُ أنْ أتَّجِهَ إلى عُشِّ طائِرِ الرُّخِّ وأتَعَلَّقَ بِهِ كَمَا فَعَلْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ. لكِنِّي في هٰذِهِ آلمَرَّةِ كُنْتُ خائفاً مِنْ مُجَرَّدِ رُؤْيَتِه.

ذاتَ يومٍ وكانَ الوقتُ ظُهراً بعثَ اللّهُ إليَّ بالفرَجِ مِنْ عِنْدِهِ. فقَدْ شاهَدْتُ مركباً مُقْبِلاً نَحْوَ الجَزِيرَة. ولكنِّي كنْتُ خائفاً مِنْ مُهاجَمَةِ طائِرِ لرُّخّ لهُ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلى الشَّاطِىء. وما أنْ ألْقَى مِرْساتَهُ حتَّى أسرَعْتُ إليهِمْ وتعلَّقْتُ بِحَبْلِ المِرْسَاةِ بَيْنَ دَهْشَةِ مَنْ فِيها وأنَا أصْرُخُ فيهِمْ قائلاً: ـ إرْفَعُوا مِرْسَاتَكُمْ وآرْحَلُوا مِنْ هُنا. وقدْ ظَنَّ رُكَّابُ السفينةِ أنّني مجنونٌ حتّى وقَفْتُ بَيْنَهُمْ وأخبَرْتُهُمْ بكُلِّ ما حَدَث. ولٰكِنَّ رُبّانَ المرْكَبِ كانَ رجُلاً حَكِيماً ذا عَقْلٍ وفِطْنةٍ. فقالَ: الرأيُ عِنْدِي أنْ نَبْقَى الآنَ حَيْثُ نَحْنُ. حتَّى إذا هاجَمَتْنا الطيورُ كُنّا بِجِوَارِ الشَّاطِىءِ. وفِي المَسَاءِ نَرْحَلُ تَحْتَ سِتارِ الظَّلام. فقلتُ لَهُ: ـ نِعْمَ

ٱلرَّأْيِ. وجَلَسْتُ بَيْنَ رُكَّابِ المَرْكَبِ وكانُوا جَمِيعاً من التجّارِ فرَوَيْتُ لَهُمْ قِصَّتِي كامِلَةً ويَبْدُو أَنَّنِي صِرْتُ مَشْهُوراً في كلِّ البُلْدَانِ والأَقْطَارِ لأنهُمْ ما أنْ عَلِمُو أَنَّني السندبادُ حَتَّى رأيْتُهُمْ جَمِيعاً يلتَفُّونَ حَوْلِي ويقولُونَ إنَّهُمْ سَمِعُوا عَنِّي الكَثِيرَ. وكنْتُ أنَا فِي غَيْرِ حَاجَةٍ إلى إعْجَابِهِمْ وثَنَائِهِمْ وإنَّمَا كُنْتُ أرْقُبُ غروبَ الشَّمْسِ وأَنْظُرُ إلى السَّماءِ فِي كلِّ الاتِّجَاهَاتِ خَوْفاً مِنْ هٰذِهِ الطيورِ اللَّعِينَةِ. وما أنْ غربَتِ الشمسُ وبدأ الليلُ وحلَّ الظلامُ حتَّى انطلَقَ المرْكَبُ إلى عُرْضِ البحْرِ وإلى حيثُ يقصدُونَ. ولَمْ تَكُنْ وجهَتُهُمْ إلى بَغْداد. وإنَّما كانُوا ذَاهِبِينَ إلى بلادِ الهِنْدِ والسِّنْد. ولمَّا لَمْ يكُنْ مَعِي شيءٌ مِنَ المالِ أو الأَحْمَالِ فقَدْ طَلَبْتُ مِنَ الرُبّانِ أنْ أعْمَلَ معَ البحْرَةِ مُقَابِلَ وجُودِي وطَعَامِي. ولٰكِنَّ الرَّجُلَ كانَ كَرِيماً وأَصرَّ علَى أنْ أكُونَ ضَيْفاً مُعَزَّزاً. وكانَ بقيَّةُ الرُّكَّابِ فِي مِثْلِ كَرَمِ الرَّجُلِ فاقْتَسَمُوا طَعَامَهُمْ مَعِي حَتَّى وَصَلْنا بِسَلامَةِ اللّهِ إلَى بِلادِهِمْ. وهُنَاكَ وقفْتُ على الشَّاطِىءِ حَائِراً لا أدْرِي إلَى أيْنَ أذْهَبُ ولا أعْرِفُ أيْنَ أمْضِي. ورآني رَجُلٌ طَيِّبٌ فسَألَنِي عَنْ حَالِي وسَبَبِ حَيْرتِي فأخْبَرْتُهُ بأنِّي غريبٌ عَنْ هذِهِ البلادِ بعيدٌ عَنْ دِيَارِي وليسَ لي مكانٌ آوِي إلَيْهِ. فقالَ الرجلُ: ـ أنا مِثْلُكَ غَرِيبٌ عَنْ هٰذا البَلَد. ولٰكِنِّي مِنْ بِلَادٍ قَرِيبَة. وسأرْحَلُ مَعَ الفَجْرِ فِي قافِلَةٍ فإنْ شِئْتَ أنْ تَأْتِيَ مَعِي فسَتَكُونُ ضَيْفِي على الرَّحْب والسَّعَةِ. فقلتُ للرجلِ: ـ أنَا طَوْعُ أمْرِكَ وجَزَاكَ اللّهُ خَيْراً. وسِرْتُ مَعَهُ حتَّى وصَلْنا إلَى القَافِلَةِ الَّتِي كانَتْ تَسْتَرِيحُ.

وفِي فجْرِ اليومِ التَّالِي تحَرَّكُوا وأنَا مَعَهُمْ ضَيْفاً علَى الرَّجُلِ الطيِّبِ الذي عرفْتُ أنَّهُ مِنْ أكابِرِ القَوْمِ. وفي المَساءِ كُنَّا قَدْ دَخَلْنا مَدِينةً وتوجَّهْتُ مَعَهُ إلى قَصْرٍ مِنْ أجْمَلِ ما رأتْ عَيْنَيَّ فاستقبلَنا خدَمُهُ وعبيدُه وجوارِيهِ أحْسَنَ ٱسْتِقْبالٍ.

وفي اليومِ التالي كانَ لرجلُ يجلسُ في حديقَةِ قصرِهِ فلمَّا رآني مقبلاً عليهِ قامَ ورحَّبَ بي وقالَ: ـ لعلَّكَ قضيْتَ الليلةَ مُرْتَاحاً. فقلتُ: ـ جَزَاكَ اللّهُ كلَّ خَيْر. لٰكِنِّي لا

أعلمُ ماذا أفعَلُ بَعْدَ ذلِكَ. وأنا ما تعودْتُ أنْ أكونَ بِلاَ نَفْعٍ أو عَمَلٍ.

فقال الرجل: ـ إنْ شئْتَ العمَلَ فاعمَلْ مَعي. فقلتُ: ـ وماذا أعْمَلُ؟ فقالَ الرجل: ـ إنِّي أمْلِكُ الكَثِيرَ مِنَ الأرَاضِي والضِّيَاعِ. وبجانِبِ ذٰلِكَ فإنَّ لِي تِجارَةً رَائِجَةً فِي كلِّ البُلْدانِ. وكُنْتُ أتمَنَّى أنْ يكُونَ لِي وَلَدٌ أعْتَمِدُ عَلَيْهِ. ولٰكنِّي لَمْ أرْزَقْ إلاَّ بنتاً واحِدَةً. وأمَلِي أنْ تَكُونَ مِثْلَ وَلَدِي بَعْدَ أنْ رَأيْتُ مِنكَ مَحاسِنَ الخُلُقِ. فقُلْتُ للرَّجُلِ: ـ إنِّي ولَدُكَ مِنَ الآنِ ولنْ تَرَى منِّي إلاَّ كلَّ خَيْرٍ. واَعلَمْ أنِّي كُنْتُ مِنْ أكابِرِ التجَّارِ فِي بَلَدِي. وسَأُبَاشِرُ كلَّ أعْمَالِكَ وتِجارَتِكَ عَنْ طِيبِ خاطِرٍ.

وهكَذَا مَضَتْ شهورٌ وأيَّامٌ عَدِيدَةٌ وقَدْ طَابَ لِي المُقَامُ فِي هذَا البَلَدِ الجَمِيلِ مَعَ ذلِكَ الرَّجُلِ الكَرِيمِ. وذاتَ يومٍ وأنا جالسٌ مَعَ الرَّجُلِ قالَ لي: ـ إعْلَم يا وَلدي أنِّي قدِ استَرَحْتُ مِنَ العَنَاءِ بفضْلِ إخْلاَصِكَ وكدِّكَ. وأمَلِي أنْ تَكْمُلَ سَعَادَتي وتَطْمَئِنَّ بَالِي. وقَصْدِي أنْ أُزَوِّجَكَ اَبْنَتِي لِيَكُونَ كلُّ شيْءٍ لَكُمَا مِنْ بَعْدي. فقلتُ للرَّجُلِ: ـ إنَّ هٰذا شَرَفٌ كَبِيرٌ وأُمْنِيَةٌ عَزِيزَةٌ بالنِّسْبَةِ لِي.

وفي أيامٍ قليلةٍ أقيمَتِ الأفْرَاحُ واللَّيَالِي المِلاَحُ وزُفَّتْ إليَّ عَرُوسٌ في أبْهى حُلَلِها وحُلِيِّها. وفِي صبيحةِ يَوْمِ العُرسِ جاءَت أمُّها لِتُقَدِّمَ لَها كلَّ ما تَمْلِكُ منْ حُلِيٍّ وجَواهِرَ. وكانَتْ شَيْئاً كثِيراً. وعِشْنَا بَعْدَ ذٰلِكَ فِي سعادَةٍ وهنَاءٍ. وقد حَمَلَتْ زوْجَتِي فاَكْتَمَلَتْ سَعَادَتِي بالمَوْلُودِ المُنْتَظَرِ.

وذاتَ يَوْمٍ عَلِمْتُ بِمَرَضِ والِدِ زَوْجَتِي فأسْرَعْتُ إلى زِيَارَتِهِ غَيْرَ أنَّهُ لم يَلْبَثْ أنْ فَارَقَ الحَيَاةَ بَعْدَ أنْ أوْصَانِي باَبْنَتِهِ. وشرَعْتُ فِي تجْهيزِ الرَّجُلِ إلى مَثْوَاهُ الأَخِيرِ، واَجْتَمَعَ أهْلُ المَدِينَةِ كُلُّهُمْ. وجَاءَت زَوْجَتِي وَهِيَ مُتْعَبَةٌ مِنَ اَلحَمْلِ وأخذَتْ تصرُخُ نادِبَةً فِرَاقَ أبِيها وأُمِّها. فتَعجَّبْتُ وأخْبَرْتُها بأنَّ أمَّهَا بِخيْرٍ. وأنَّ الَّذِي ماتَ هُوَ والِدُها

فَقَطْ. فقالَتْ: ـ أَلَا تَعْرِفُ أنَّ الزوْجَةَ إذا ماتَ زوْجُها تُدْفَنُ مَعَهُ حَيَّةً. فَقُلْتُ فِي دَهْشَةٍ: ـ ماذا تقُولِينَ؟ فقالَتْ: ـ هٰذِهِ عادَاتُنا. فلا يَجِبُ أَنْ يَعِيشَ زوجُ بِلاَ زَوْجَة. ولا زوجَةٌ بلا زَوْج. فقلتُ: ـ مَعْنَى ذٰلِكَ إذا ماتَتِ الزوجةُ أَيْضاً يدْفِنُونَ زوْجَها مَعَها؟ فَقالَتْ: ـ نَعَمْ. فصرَخْتُ قائِلاً: هذا كُفْرٌ وظُلْم. وحاوَلْتُ جَاهِداً أنْ أحُولَ دُونَ دَفْنِ أمِّها ولكِنَّ أَهْلَ المدينةِ لَمْ يُمَكِّنُونِي مِنْ ذٰلِكَ. وخرجَتْ جِنازَةُ الرَّجُلِ تتقدمُها زوْجَتُه تَتَحلَّى بِكُلِّ ما بَقِيَ لَدَيْها مِنْ حُلِيٍّ حتَّى وَصَلُوا إلى بِئْرٍ خارجَ المَدِينَةِ مُحْكَمٍ بغِطَاءٍ عَلَيْهِ أَقْفالٌ كَثِيرةٌ. فَفَتَحُوا الأَقْفَال ورفَعُوا الغِطَاء وأَدْلَوْا جُثَّةَ الرَّجُلِ بِالحِبَالِ إِلى آلبِئْرِ وبَعْدَها رَبَطُوا آلمَرْأَةَ وأَدْلَوْا بِها أيْضاً ثُمَّ أَلْقَوْا آلحِبَالَ مَعَها. ثُمَّ جَاؤُوا بِصُنْدُوقٍ فِيهِ خُبْزٌ ومَاءٌ وأَنْزَلُوهُ إِلَى آلمَرأَةِ ثُمَّ أحْكَمُوا الغِطَاءَ وَوَضَعُوا الأَقْفَال. وانفضَّ الجَمْع وكأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ. أمَّا أنَا فَقَدْ كُنْتُ فِي حَالَةٍ مِنَ الذُّهُولِ والحُزْنِ والحُنقِ على هٰؤُلاءِ الناسِ الذينَ لا دينَ لَهُمْ ولا حُرْمَةَ عِنْدَهُمْ. وأخَذْتُ زَوْجَتِي وذهَبْتُ إلى دَارِي وكانَتْ قَدْ نَالَ مِنْها الحُزْن فشعَرَتْ بآلامِ الحَمْلِ وباتَتْ طَرِيحَةَ الفِرَاشِ.

ومرتْ أيامٌ وزوْجَتِي مريضةٌ حتَّى جاءَ يومُ الوضعِ فأسْرَعْتُ إلى النساءِ الذينَ يتولَّيْنَ الوِلاَدَةَ فِي هٰذَا البَلَدِ وطَلَبْتُ إِلَيْهِنَّ أنْ يُسْرِعْنَ إلى زَوْجَتِي. وعَلِمَ كلُّ مَنْ في المَدِينَةِ بالأَمْرِ فأقْبَلُوا يُهَنِّئُونَنِي ويتَمَنَّوْنَ أنْ يكونَ المولودُ ذَكَراً. وبينما أنَا جَالِسٌ مَعَ أكَابِرِ القومِ فِي فِنَاءِ الدَّارِ إذْ سمِعْتُ صُراخاً وعويلاً وعلِمْتُ أنَّ زوجَتِي فارَقَتِ الحياةَ قَبْلَ أنْ تَضَعَ مولودَها. وما أنْ عَرَفْتُ الخَبَرَ حتَّى فَقدْتُ الوَعْيَ وغِبْتُ عنِ الوُجُودِ. وحينَ أفَقْتُ مِنْ غيبوبَتِي كانَ الأمرُ أشدَّ هَولاً. فقدْ وجَدْتُهُمْ جهَّزُوا زوجَتِي للدَّفنِ وأَلْبَسُونِي أفْخَرَ ثِيَابِي وجَمَعُوا كلَّ مُمْتَلَكَتِنَا فِي صَنادِيقَ وتحرَّكَ مَوْكِبُهُمْ وأنَا مَعَهُمْ أقاوِمُ بِغَيْرِ جَدْوى حتَّى وَصَلْنا إلى فُتْحَةِ البِئْرِ الذي هو مَقْبَرةُ المدينةِ. وكُنْتُ أصرُخُ بينَ أيديهِمْ واستعطِفُهُمْ ولكنْ لمْ أجِدْ فِي قلوبِهِمْ رحْمةً أو رَأْفَة. ولمْ أشْعُرْ إلا وهُمْ يُدْلَوْنَ بِي إلى البِئْرِ. ثُمَّ



يُدْلَوْنَ إليَّ بِصَنَادِيقِ أمولِنَا وحُلِيِّنَ. وفي النهايةِ أدلَوْا بصُنْدُوقٍ فِيهِ أرْغِفَةُ خُبْزٍ وَقِدْرُ فِيهِ مَاء. وبَعْدَها أغْلَقُوا الفُتْحَةَ ورَحَلُوا بينَمَا كُنْتُ أنَا أصرُخُ وأتضرَّع إلِيهِمْ فلا سميعَ أو مُجِيب. لَمْ أكنْ أعلمُ أنَّ الفاصلَ بينَ الحياةِ والموتِ هَوَ ذلِكَ الغطاءُ الَّذِي وضعُوهُ فحجَبَ ضوءَ السماءِ وعزلَنِي عنِ الدُّنْيا. ولمْ أستطِعْ أنْ أصدِّقَ أنَّ واحداً مِثْلِي يمكِنُ أنْ يموتَ بهذِهِ البساطَةِ. فكمْ مِنْ مرَّةٍ شاهَدْتُ المَوْتَ وقَهَرْتُهُ تَشَبُّثاً بالحَيَاة. ولكِنِّي فِي هذهِ المرَّةِ عاجزٌ لا أقدِرُ على شَيْء. كلُّ ما أستطِيعُهُ أنْ أجلِسَ وأنتَظِرَ المَوْتَ الَّذِي سيأتِي لا مُحَالة. فهٰذَا المَكَانُ المُظْلِمُ الخانِقُ ذو الرائحَةِ العَفِنَةِ. وذلكَ الزادُ الَّذِي لا يَكْفِي يَوْماً واحِداً لِمَنْ كانَتْ لَهُ شَهِيَّة. كلُّ هٰذِهِ العَوَامِلِ تُعَجِّلُ بالمَوْتِ وَفَوْقَ هٰذا كُلِّهِ ذٰلِكَ الرُّعْبُ القاتِلُ وأنَا أرَى نَفْسِي وَحِيداً بَيْنَ الأَمْوات.

كلُّ هذهِ الهواجسِ مرَّتْ بخاطِرِي وأنَا قابعٌ في مكَانِي لا أَرَى شَيْئاً مِنْ شِدَّةِ الظَّلَامِ. ونَظَرْتُ إلى أعْلى وكَأنِّي أنْشُدُ أنْ يَنْخَلِعَ غِطَاءُ هٰذَا الجُبِّ حَتَّى أرَى لَوْنَ السَّمَاءِ. ولٰكِنْ هَيْهَات أنْ أرَاهَا بِعَيْنَيَّ. رُبَّما أصعَدُ إليها بِرُوحِي عمَّا قَرِيب. إنْ هُوَ إلاَّ يَوْمٌ أو اثْنَانِ أو رُبَّما يَكُونُ الآنَ. فطالَمَا سَمِعْتُ أنَّ المقابِرَ تَسْكُنُها الأشْبَاحُ والأَرْوَاحُ. وأصْحَابُها الَّذِينَ لا يسمَحُونَ بوُجُودِ الأَحْيَاءِ مَعَهُمْ. فلا بُدَّ أنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَنِي لا بُدَّ أنَّهُمْ يَرَوْنَنِي الآنَ ولاَ أَرَاهُمْ. وستأتِينِي ضَربَاتُهُمْ مِنْ أيِّ مَكان. ما أَرْوَعَ حِكْمَةَ الخالِقِ في أنَّ الإنسانَ لا يَدْرِي مَوْعِدَ نِهَايَتِه. أمَّا مَنْ كَانَ فِي مِثْلِ حالِي الآنَ فَهُوَ مَيِّتٌ قَبْلَ أنْ يَمُوتَ. فَمَا أَصْعَبَ انتظارَ المَوْت. ولنْ أطيلَ عَلَيْكُمْ يا إخْوانِي فِي الحَدِيثِ عَنْ هٰذِهِ اللحظَاتِ الَّتِي تملأُ القلبَ رُعْباً وهَلَعاً حتَّى لا تَضِيق أنْفاسُكُمْ وتَذْهَب عَنْكُمْ مِتْعَةُ الحَدِيثِ وبَهْجَةُ الحَيَاة.

كانَ المكـانُ مُظْلِماً تنبَعِثُ مِنْهُ رائِحَةٌ عَفِنَة. وبَعْدَ أنِ اعْتَادَتْ عَيْنَاي الظلامَ رَأَيْتُ الكثيرَ مِنَ الجَماجِمِ والهَيَاكِلِ البَشَرِيَّة. ورأَيْتُ أيضاً عَدِيداً مِنَ الصنَادِيقِ الخَشَبِيَّةِ

والحَدِيدِيَّةِ. وكانَتْ المقبرَةُ عِبارَةً عَنْ كَهْفٍ كَبِير. فيهِ مَمَرَّاتٌ عَدِيدَةٌ. لٰكِنَّها كلُّها تَسْبَحُ فِي الظَّلَام. رأيْتُ هٰذَا كُلَّهُ وأنَا قَابِعٌ في مَكَانِي خَائِفٌ يَائِسٌ حَزِين. ولَمْ يَكُنْ أمَامِي مَفَرٌّ مِنْ مَصِيرِي المَحْتُوم. فأنَا الآنَ حَيٌّ بَيْنَ الأمْواتِ وقَرِيباً جِدّاً لَنْ أخْتَلِفَ عَنْ هٰذِهِ الجُثَّةِ الَّتِي بِجِوَارِي. وهِيَ جُثَّةُ زَوْجَتِي. ولمَّا نظرْتُ إليْها تذكَّرْتُ حَيَاتِي مَعَها. كانَتْ زوجةً طيِّبَةً وكانَتْ حياتِي مَعَها سعادَةً وهَنَاء. وانسابَتْ دُمُوعِي حُزْناً عليْها أوْ علَى نَفْسِي لا أعْلَم. لٰكِنِّي قرَّرْتُ أنْ أبْتَعِدَ عَنْها فِي أيِّ مَكَانٍ آخَرَ حتَّى لا أرَاها. وأخذْتُ أزْحَفُ قَلِيلاً قَلِيلاً حتَّى لا أصْطَدِمَ بِشَيْءٍ لا أراهُ إلى أنْ صِرْتُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ أحَدِ الصناديقِ الكبيرةِ وكانَ مُغْلَقاً بقُفْلٍ في جَانِبِه. ويشبِهُ الصناديقَ الَّتِي تُحْفَظُ في داخِلِها الكنوزُ والجواهِرُ. وتَذَكَّرْتُ عَلَى الفورِ كُنُوزِي وأمْوالِي الَّتِي فِي قَصْرِي ببغداد. وقُلْتُ. ـ وماذا يَنْفَعُ المَالُ الآنَ. وهٰذِهِ الصناديقُ الكثيرةُ المتناثرةُ حَوْلِي مَعَ هَياكِلِ أصْحَابِها. هلْ وَهَبَتْهُمُ الحَيَاةَ؟ كلُّ صَنَادِيقِ المَالِ والحلِيِّ كما هِيَ. أمَّا الصَّنادِيقُ الَّتِي فِيها الخُبْزُ وقُدُورُ المَاءِ فخاوِيَةٌ. وتذكَّرْتُ أنَّهُمْ أدْلَوْا مَعِي بصُنْدوقٍ فيهِ بعضُ الأرغفةِ وإبريقٌ مِنَ الماء. وتساءلتُ لِماذا يفعلونَ ذٰلِكَ. هَلْ مِنْ أجلِ أنْ يُطِيلُوا عُمْرَ الإنْسانِ يَوْماً أوْ اثنَيْن. ولِماذا؟ لماذا لا يُزْهِقُونَ رُوحَهُ قَبْلَ أنْ يضَعُوهُ فِي هٰذا الجُبِّ؟ هلْ يعتقدُونَ أنَّ الإنسانَ يُمْكِنُ أنْ يشعُرَ بالجوعِ أو تكُونَ لَهُ شهيةٌ لِطَعَامٍ فِي هٰذا المكانِ!! إنَّهُمْ قومٌ جُهلاء لا عَقْلَ لَهُمْ ولا دِين. لم يكُنْ أمامِي أيُّ أمَلٍ فِي النَّجاةِ، إذْ أنَّ سَقْفَ المقبرَةِ مُرْتَفِعٌ كَثِيراً وعَلَيْهِ غِطَاءٌ فِيهِ عِدَّةُ أقْفَال. وجَوَانِبُ المَغَارَةِ كلُّها مِنَ الصخُورِ الصُّلْبَة. ولَمْ يَعُدْ أمامي سِوَى أنْ أسْتَلْقِيَ بِجَسَدِي عَلَى الأرْضِ وأنْتَظِرَ مَصِيرِي.

استلقيتُ على الأرضِ وأغمضْتُ عينيَّ واستسلمتُ لِقَدَرِي. وما هيَ إلَّا لحظاتٌ حتَّى سمِعْتُ قرقعَةً وبعدَها ارْتَجَّ المكانُ كلُّهُ وسقَطَتْ عِدَّةُ صُخورٍ حَوْلِي واهتزَّتِ الأرضُ هزاتٍ عنيفةً وسقطَتْ صُخُورٌ أخْرَى وشعَرْتُ بأنَّ الأرض تَمِيدُ بي وتتشقَّقُ بَيْنَما

جوانِبُ المغارَةِ تكادُ تتفتَّتُ. وفَجْأةً هدأ كلُّ شيءٍ. وعرَفْتُ أنَّها هِزَّةٌ أرْضِيَّةٌ وزِلْزالٌ أصابَ هذا البلدَ الَّذِي كانَ دائماً عرضَةً لزَلازِل. وتمنَّيْتُ لوْ أنَّ إحْدى الصخورِ التي سقطَتْ كانَتْ سقطَتْ فَوْقي وأزهَقَتْ رُوحِي حتَّى أستريحَ مِنْ هذا العذَاب

لَمْ تَمْضِ لحظاتٌ حتَّى عادَ الزلزالُ مَرَّة أخْرَى وفِي هذِهِ المرَّةِ كانَ قَوِّياً لِدرجةٍ جَعَلَتْني أقفزُ مِنْ مكاني بَعْدَ أنْ رأيْتُ الأرضَ تتشقَّقُ حَوْلِي وتبتلِعُ ما عليه. بينَما تتساقطُ الصخورُ مِنْ كُلِّ مكانٍ حتَّى خلْتُ أنَّ المغارَةَ سَوْفَ تَسْقطُ كلُّها فَوْقَ رأْسِي. وهاجَمَني دخانٌ كَثيفٌ مِنْ فتحاتِ المغارَةِ كادَ يخنقُني وضعْتُ ملابِسي علَى أنْفِي وصرْتُ أسْعُلُ بشدَّةٍ حتَّى كادَ ينفجِرُ حَلْقي. وبعدَ ذلكَ هدَأَ كلُّ شيءٍ، لكنَّ نَفْسي لمْ تَهْدَأْ. فَقَدْ توَقَّعْتُ أن يعودَ الزِلْزَالُ مرَّةً أخْرى. ومِنْ عَجَبٍ أنِّي أخشى إصَابَتِي. ونسيتُ أنِّي أنتَظِرُ حَتْفي. إنَّها غريزةُ حُبِّ البَقَاءِ والخَوْفِ مِنَ الأخْطَارِ.

لَمْ يَهْدَإِ الحَالُ ويَذْهَبِ الغُبَارُ حتَّى رأيْتُ عَجَباً.

رأيتُ ضوءَ الشمسِ يتَسَرَّبُ مِنْ خِلَالِ أحَدِ سَرادِيبِ المَغَارَةِ. بلْ لَقَدْ شعرْتُ بالهواءِ واستنشقْتُ نسماتِهِ فأسرَعْتُ الخُطَى إلى نَاحِيَةِ السِّرْدابِ ونظرتُ لأرَى فتحةً فِي جانبِهِ تطلُّ منها السماءُ وتنْبَعِثُ مِنْها أشعَّةُ الشَّمْس. فهلَّلْتُ فرحاً وأخذتُ أقفزُ في الهواءِ لعلَّني أستَطِيعُ الوصولَ إليه. لكنها كانتْ بعيدةً عنِّي كثيراً. ومعَ هذا فلَمْ أيْأَسْ. وفكَّرتُ سَريعاً وهدَاني تفكيري إلى أنْ أصنَعَ شيئاً يُقَرِّبُني منْها، فأخذتُ أجمعُ الصخورَ المتناثرةَ في أرجاءِ المغارةِ وأضَعُها فوقَ بعْضِها حتَّى أحسَسْتُ بالتَّعب. ومن لغريبِ أنِّي شعرتُ بالجوعِ. فذهبْتُ إلى صندوقِ طعامِي وأخذْتُ منْه الأرغفةَ وأكلتُها بشهِيَّةٍ ثم شربْتُ من قِدْرِ الماءِ وبعدها واصلْتُ جمْعَ الصخورِ مرَّةً أخرى. ولكنَّ الشمسَ كانَتْ قد غابَتْ وحلَّ الظلامُ وأصْبَحَ مِنَ المتعذِّرِ أنْ أعْمَل. فجلسْتُ وأرْجَأتُ العَمل لليومِ التَّالي، وكانَ الأملُ في النجاةِ قدْ أعْطاني قُوَّةً وملأني بهجَةً فلَمْ أعُدْ أشعرُ بالْخَوْفِ مِنْ

هٰذِهِ الجثثِ الَّتي حَوْلي. بل استَلْقَيْتُ عَلَى جنْبِي وأسلَمْتُ نفسِي للنومِ إلى صَباحِ اليومِ التَّالي.

ولمَّا آستَيْقَظْتُ أسْرَعْتُ في العملِ بكلِّ هِمَّة ونشاطٍ إلى أنْ صَنَعْتُ تَلًّا مِنَ الصخورِ جَعَلَني قريباً من فَجْوَةِ لمَغَارَةِ فصعدْتُ عليهِ وأخرَجْتُ رأسِي مِنَ الفُتْحَةِ لأرَى أجْمَلَ صُورَةٍ فِي حَيَاتي. وهِيَ صُورَةُ البَحْر.

كانَ البحرُ مُمْتَدّاً تحتَ سَفْحِ المَغَارَةِ وكأنَّ الحياةَ تُشْرِقُ عليَّ من جَدِيد. وأسْرَعْتُ بالخُرُوجِ ووقَفْتُ على صَخْرَةٍ أنظرُ حَوْلي وأتدبَّرُ أمْري فلمْ أجِدْ سِوَى البَحْرِ ولا شَيءَ آخَر.

لقد نجوتُ حقّاً مِنْ هذِهِ لمقبرة. ولكنْ ما حِيلَتي في النَّجاةِ مِنْ هذَا البَلَد. لا أعْلم. وجلَسْتُ أفكِّرُ لعلِّي أهْتَدي إلى حيلةٍ تُنْجِيني ممَّا أنا فيهِ. ولٰكِنِّي لم أهْتدِ إلى شيْء. بلْ جَعَلَني هواءُ البحر ونسماتُهُ أشْعُرُ بالجوعِ. ولمْ يَكُنْ حوْلي شيءٌ يمكنُ أنْ أقْتاتَ بِهِ وأُشْبِعَ جُوعِي. فتذكَّرْتُ ما بقيَ مَعِي مِنْ أرْغِفَةِ آلخُبْزِ بالأَمْس. ولكِنِّي لمْ أكُنْ





أرِيدُ العَوْدَةَ إلى دَاخِلِ المَغَارَة. لكنَّ حاجَتِي للطعامِ والمَاءِ جَعَلَتْنِي أعُودُ رغْماً عنِّي.

فدخلْتُ وأخذتُ الأرغفةَ وقِدْرَ الماءِ ثُمَّ خرجتُ إلى حَيْثُ كُنْتُ وجلَسْتُ آكُلُ وأفكِّرُ في ما يُمْكِنُ أنْ يَحدُثَ لي بَعْدَ ذلك. ونظرْتُ إلى أعْلَى لأَجِدَ المَغَارَةَ مرتفِعَةً، لكنْ مِنَ السَّهْلِ الوصولُ إلى قِمَّتِها. وتَمَلَّكَنِي الخَوْفُ مِنْ أنْ يراني أحَدٌ مِنْ أهْلِ المدينةِ فيُمْسِك بي مرَّة أخْرى ولا أعْلَمُ ماذَا سَيكُونُ مصيري.

ولٰكِنِّي قُلْتُ أستطيعُ أن أتَسَلَّل فِي اللَّيْلِ وأهرُبَ مِنْ هٰذِهِ المدينة إلى المدينةِ التي نزلْتُ فِيها مِنَ السفينةِ. ولٰكِنِّي ماذَا أفْعَلُ هُنَاكَ وأنَا لا أمْلِكُ مالاً ولا أحْمِل زَاداً؟



وتذكَّرْتُ أنَّ مالي كُلَّهُ ومالَ زوْجَتِي فِي صَنَادِيقَ دَاخِلَ المقْبَرَةِ. وقَدْ أستطيعُ بهذا المالِ أنْ أستأجِرَ سفينةً أذهبُ بِها إلى بَغْداد.

وأسرَعْتُ مِنْ فَوْرِي إلى داخِلِ المغارةِ ودَلَفْتُ مِنَ السِّرْدابِ إلى المَقْبَرةِ فَسَمِعْتُ أصْواتاً ورَأيْتُ ضوءاً فنظرْتُ إلى مصدرِهِ لأرىَ فتحةَ المقبَرَةِ منزوعةَ الغِطَاءِ وجَمْعاً مِنَ الناسِ حوْلَها. فتواريْتُ بسُرْعَةٍ داخِلَ السِّرْدَابِ خَوْفاً من أنْ يَرَوْني ويعلَمُوا أنِّي لا زِلْتُ حيّاً. ووقَفْتُ في مَكَانِي أرْقُبُ ما يحْدُثُ. فرأيْتُهُمْ يُدْلُونَ بجُثَّةٍ إلى أسْفَل. حتَّى إذ استقرَّتْ على الأرضِ تَرَكُوا الحِبَالَ تسْقُط فوقَها. ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ أنْزَلُوا شَخْصاً آخر. ولم أنْتَظِرْ حتَّى أشاهِدَ ما يَحْدُثُ وإنَّما أسرَعْتُ بالفرَارِ إلى خارجِ المغارةِ وجلسْتُ أفكِّرُ مرَّةً أخرى بَعْدَ أنْ فشِلَتْ حِيلَتِي الَّتِي كُنْتُ دبَّرْتُها. وأحسَسْتُ بالحزْنِ لِمَصيرِ هذا المسكينِ الَّذِي كنْتُ مِثْلَهُ مُنْذُ أيام. وتمنَّيْتُ أنْ أعاونَهُ وأخرجَهُ لكِنِّي خفتُ مِنْ أنْ يفْضَحَنِي. ولَمْ أجِدْ أمامِي سِوى أنْ أسُدَّ الفتحةَ التي خرجْتُ مِنْها حتَّى لا يتوصَّلَ إليْها وأتركَهُ لمَصيرِهِ وبَعْدَ عِدَّةِ أيَّامٍ يكونُ قَدْ فارقَ الحياةَ فأعودُ لأخْذِ المَالِ. لم يَمْضِ وقْتٌ كثيرٌ علَى خُرُوجِي حتَّى شعرتُ بالجُوعِ والعَطَشِ وأصبَحْتُ في حَالةٍ لا يُمْكِنُ مَعَها البقاءُ يوماً أو يومَيْن بِغَيْرِ طعامٍ ولا شَرَاب. وقد أسْتَطِيعُ أنْ أظَلَّ بلا طَعام. لكِنِّي لا أستَطِيعُ أنْ أتَحمَّلَ الظَّمأَ. ولم يَكُنْ أمامِي من سبيلٍ إلاَّ أنْ أعودَ إلى المغارَةِ ثُمَّ المقبَرَةِ لأشارِكَ الشَّخْصَ طعامَهُ وشَرَابَهُ. وأُنْقِذَهُ أيْضاً مِنْ مَصِيرِهِ المَحْتُوم. وهكَذا عُدْتُ إلى الفَتْحَةِ وأزَحْتُ الصُّخُور عَنْها ودلَفْتُ إلى الداخلِ لأجِدَ امرأةً مُسَجَّاةً علَى الأرْضِ بِجِوَارِ الجُثَّةِ الجديدَةِ وبجوارِها صُنْدُوقانِ. عرفْتُ منهُما صندوقَ الخُبْزِ والمَاءِ. وحمِدْتُ اللّهَ علَى أنَّ المرأةَ قَدْ فارَقَتِ الحَيَاةَ بهذِهِ السُّرْعَةِ قَبْلَ أنْ تأكُلَ أو تَشْرَبَ مِنَ الصندوقِ، فَقَدْ كانَ الخبزُ والماءُ كَمَا هُمَا لَمْ تَمسَّهُمَا يَدٌ.

أخذْتُ الأرْغِفَةَ وقِدْرَ الماءِ وهمَمْتُ بالخُرُوجِ لَوْلا أنَّنِي سمِعْتُ أنِيناً خافِتاً ينبَعِثُ

مِنَ المرأةِ لمْسَجَّاةِ أمامي فنظرْتُ إليها بدهشةٍ وانْتابَتْني رَعْشَةٌ مِن الخوفِ واقتربْتُ منْها في حَذَرٍ لأَجِدَهَا تَتَنَفَّسُ. ووقفْتُ حَائِراً لا أَدْرِي ماذَ أفْعَل. هلْ أتْرُكُها وأذهَبُ؟ ولكِنْ أخذَتْني الشفقةُ عليْها وتذكَّرْتُ حالِي حينَ كنتُ مِثْلَها. فجلسْتُ إلى جِوارِها وألْقَيْتُ على وجْهِهَا قَطَراتٍ من الماءِ جَعَلَتْها تُفيقُ وتَفْتَحُ عَيْنَيْها. لكِنَّها أصِيبَتْ بذُعْرٍ وهلَعٍ لِرُؤْيَتي.

فأخَذْتُ أهَدِّىءُ مِنْ خوفِها وأتلَطَّفُ في الحديثِ مَعَها حتّى عرفَتْ أمْري وكُلَّ ما حَدَثَ لِي. وحينئذٍ ظَهَرَ السرورُ عَلَى وجْهِهَا وشكَرَتِ اللّهَ عَلَى نَجاتِها. وهمَّتْ بالوقُوفِ لتخْرُجَ مِنَ المكانِ غيْرَ أنَّها كانَتْ ضعيفةً ومُتْعبةً ممَّا اضطرَّني إلَى حَمْلِها إلى خارِجِ الكَهْفِ.

وما أنْ رأَتِ البَحْرَ وتَنَسَّمتْ هَوَاءَهُ حتّى دَبَّتِ الحَيَاةُ فِي جَسَدِهِ الوَاهِنِ وأضاءَ وجهُهَا فَبَدَ جَميلاً رَقِيقاً كوَجْهِ المَلائِكَةِ أو حورِيَّاتِ البَحْرِ. وآنَسَنِي وجودُها مَعِي وأحسَسْتُ أنَّني أستَطِيعُ أنْ أُذَلِّلَ كلَّ صَعْبٍ مِنْ أجْلِها وأنِّي قادِرٌ عَلَى الخُرُوجِ بِهَا مِنْ هٰذا البَلدِ الظَّالِمِ أهْلَه. وتَرَكْتُها وأسْرَعْتُ إلى داخِلِ المَقْبرةِ فأحضَرْتُ الخُبْزَ والمَاءَ وأكَلْنَا وشَرِبْنا سَوِيّاً.

ثُمَّ أخبَرْتُها بِما كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَيْه. فقالتْ: ـ ولٰكِنْ كَيْفَ نَرْحَلُ مِنْ هُنا؟ فأخْبَرْتُها بأنَّ عَلَيْنا أن نَتَسَلَّقَ هٰذا الجَبَلَ، ونَرْحَلَ إلى المدينةِ الَّتِي أتَيْتُ مِنْها. فقالَتْ: ـ إنَّ المدينَةَ المقصودَةَ بعيدةٌ عَنْ مَكانِنا ولنْ نستَطِيعَ الوصُولَ إلَيْها على أقدامِنا. فطمأنْتُها وقُلْتُ لَها إنَّني سأفْعَلُ مِنْ أجْلِها المستحيلَ حتَّى تَصِلَ سالِمَة. وظلَلْتُ أفَكِّرُ في الوسيلةِ التي تجعلُنا نرحَلُ بغيرِ عناءٍ أو تَعَبٍ فهَدَاني تَفْكِيري إلى أنْ آخُذَ مَالي مِنَ المقبَرَةِ وأذْهبَ إلى السُّوقِ لاشْتَري جَوادَيْنِ أو نَاقَتَيْنِ نُسافِرُ عَلَيْهما. وقدْ يُعِينُني علَى هذا ما طَرَأَ على وجْهِي مِنْ تَغْييرٍ بَعْدَ أنْ طَالَتْ لِحْيَتي وشارِبَايَ وأصْبَحَتْ مَلامِحِي محتلفَةً عَنْ ذِي قَبْل.

وأسرَعْتُ مِنْ فوري إلى لمقبَرَةِ وجمَعْتُ المَالَ مِنَ الصناديقِ وأخَذْتُ مِنْ مَلابِسِ الأمْوَاتِ وأكْفَانِهِمْ ما جَعَلْتُه أكْياساً ووضَعْتُ المَالَ و لحليّ فِيْها وبينما أفْعلُ ذلِكَ إذْ واتَتْني فِكْرَةٌ أخْرَى. فهذِهِ المَقْبَرَةُ مليئةٌ بالمَالِ والذَّهَبِ والحِليِّ والكَثيرِ مِنَ الأحْجارِ



الكَرِيمَةِ الَّتِي كانَ يَتحلَّى بِهَا أغْنِيَاءُ البلدَةِ قبلَ مَوْتِهِمْ. فلماذَا لا آخُذُ ما خَفَّ حمْلُهُ وغلا ثَمَنُهُ. وفِعْلاً أخذْتُ مِنَ المَالِ قَدْراً يَسِيراً. بينَما جَمَعْتُ الذهَبَ والحِليّ والجَوَاهِرَ حتَّى بَلَغَ عَدَدُ الأكياسِ عشرة. وأخْرَجْتُ هذا كلَّه فوضَعْتُه بِجوَارِ المَرْأةِ وأخَذْتُ مِنَ المَالِ ما يَكْفِي لِشِرَاءِ جَوَادَيْنِ وخمْسَةِ جِمَالٍ مَعَ ما يَلْزَمُ مِنْ طَعَامٍ وشرابٍ وتسلَّقْتُ الصُّخُورَ حتَّى وصلْتُ إلى سَطْحِها فلاَحَتْ لِي المَدِينَةُ عَنْ بُعْدٍ وأسْرَعْتُ الخُطَى إلى أنْ وَصَلْتُ السُّوقَ واشتَرَيْتُ كُلَّ ما يَلْزَمُنِي مِنْ غَيْرِ أنْ يَعْرِفَ أحَدٌ مَنْ أنَا وعُدْتُ إلَى المَرْأةِ بَعْدَ أنْ أوْقَفْتُ الجَوَادَيْنِ مَعَ الجِمَالِ الثَّلاثَةِ فِي أعْلَى، وتَعَاوَنَّا فِي نَقْلِ الأكْيَاسِ العشْرَةِ لنضَعَها علَى ظَهْرِ الجِمَالِ ثُمَّ رَكِبْنَا الجوادَيْنِ وانطلَقْنا مَعَ سِتَارِ اللَّيْلِ مُتَوَجِّهَيْنِ إلَى البَلَدِ الَّذِي نُرِيدُهُ.

وما أنْ وَصَلْنا حتَّى آستأجَرْتُ مَرْكَباً خاصاً بي سارَ بِنا على بَرَكَةِ اللّهِ إلَى مدينَةِ البَصْرَةِ الَّتِي وصَلْنَاها بَعْدَ سَبْعَةِ أشْهُرٍ.

وفي مَدِينَةِ البَصْرَةِ خرجْتُ مَعَ قافِلَةٍ كَبِيرَةٍ إلى مَدِينَةِ بَغْداد فاسْتَقْبَلَنِي الأصْحَابُ والأحْبَابُ بالبَهْجَةِ والتَّرْحَابِ. وعَقَدْتُ قِرَانِي عَلَى المَرْأةِ عِنْدَ القَاضِي. وفِي يومِ الزِّفَافِ حضَرَ الخليفةُ مُهَنِّئاً، مُستفسراً عمَّا إذَا كُنْتُ سَأعَاوِدُ السَّفَرَ مَرَّة أخرى. فابْتَسَمْتُ وأشَرْتُ إلَى زَوْجَتِي وأجَبْتُ بِأنِّي لَنْ أبْتَعِدَ عَنْ هٰذِهِ المَرْأةِ طِوالَ عُمْرِي وأقْسَمْتُ أمَامَه عَلَى ألَّا أُغَادِرَ مَدِينَةَ بغداد أبَداً . وكُنْتُ فِي هٰذِهِ المَرَّةِ جادّاً ومُحِقّاً فِي قَوْلِي. فَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الرِّحْلَةُ هِيَ آخِرَ رِحْلاتِي واسْتَقَرَّ بِي الحالُ بَعْدَ أنْ أنْجَبَتْ زَوْجَتِي طِفْلَيْنِ هُمَا كلُّ سَعَادَتِي فِي الدُّنْيا.

تمت



١	بمَ جاء التاجر يُقنع السندباد؟ هل وافق السندباد على السفر؟.
٢	ما هو العمل الذي عَرَضَ التاجر القيام به؟ وهل وافق السندباد على فكرة تدوين أخبار رحلاته؟.
٣	كيف تمكن التاجر من اختطاف السندباد؟ وهل عامله معاملة حسنة؟
٤	إلى أي جزيرة توجَّه السندباد بالسفينة؟ لماذا؟.
٥	لماذا طلب السندباد إلى رفاقه اتخاذ البيضة العملاقة غذاءً؟.
٦	ماذا فعل طائر الرخ بالرفاق؟ إلى أين هرب السندباد والباقون؟.
٧	لماذا حاول التاجر قتل السندباد؟ ما الذي منعه من تنفيذ ذلك؟ وما الذي حلَّ بالسفينة؟.
٨	من هو الوحيد الذي نجا من طائرَيْ الرّخ؟ إلى أين توجه؟.
٩	كيف تمكن السندباد من الخروج من الجزيرة؟ وإلى أين توجهت السفينة؟.
١٠	كيف توطَّدت الصداقة بين السندباد والتاجر؟ وممن تزوج السندباد بعد ذلك؟.
١١	ماذا فعل أهل المدينة بالسندباد عندما ماتت زوجته؟.
١٢	كيف تمكن السندباد من الخروج من تلك المغارة؟.
١٣	هل عاد إلى المغارة؟ بمن التقى؟.
١٤	كيف تمكن السندباد والمرأة من مغادرة تلك المدينة؟ وكم استغرقت رحلتهما إلى البصرة؟.
١٥	كم طفلاً أنجبت له زوجته؟ هل عاشا سعيدَيْن؟.

أ

أتضرع: أتوسّل.

ارتجّ: اهتزّ.

أزحت: أبعدت.

أضمر: أخفى.

اقتات به: أكلَهُ.

انتابني: أصابتني.

أنجو: أتخلص.

أنشدها: أطلبها.

أيأس: أقطع الأمل.

ت

تميد: تتحرك - تضطرب.

ج

جدوى: فائدة.

الجبّ: البئر.

ح

حتف: موت.

حِلَل: ثياب.

خ

خِلْت: اعتقدْت.

د

دلفْتُ: مشيتُ كالمقيد بخطى متقاربة.

ش

شطر: قسم.

الشروخ: الشقوق.

ض

ضرب مبرِّح: ضرب شديد موجع.

ع

العناء: التعب.

غ

غريزة: طبيعة.

ق

قابع: مُنزوٍ ومستتر.

م

متعاقبة: متتالية.

مثواه الأخير: قبره.

معززاً: مكرّماً.

المتعذر: المستحيل.

المتناثرة: المنتشرة والموزّعة هنا وهناك.

المحتوم: المؤكد.

المسجّاة: المغطاة.

ن

نتوارى: نختفي.

نظير: شبيه.

هـ

هودج: محمل له قبّة يوضع على ظهر الجمل.

الهواجس: الوساوس.

و

الوضع: الولادة.

ي

يتوعدني: يهدّدني.



رحلات السندباد

1 : الأميرة المخطوفة

2 : أرض الألماس

3 : المارد واللؤلؤ

4 : سروج الخيل

5 : زواج الأميرة

6 : في جزيرة الأقزام

7 : الزواج السعيد

الدار النموذجية للطباعة والنشر

صيدا - بيروت

